

صديقي وأوبرا عايدة

زارنى صاحبي ذات صباح وهو حزين ، كأنما يحمل أظناناً من الهموم. سألته :

\_\_\_\_\_ ما بالك ؟

\_\_\_\_\_ لدى سر لنا أستطيع البوح به لأي إنسان !

\_\_\_\_\_ حتى أقرب صديق لك ؟!

\_\_\_\_\_ أخشى أن يساء تفسيري ، وأتحول إلى إنسان يسهل وصفه بالمجنون ، أو الغباء أو المتخلف ، أو بها جميعاً ..

— لقد أفزعتني، فلماذا لا تفضي إلى بسرك، وأعاهدك أن أصدونه، ولما أبوح به لأحد — أنا نفسي أخشى منك أيضاً، لأنك إنسان مثقف ومتفتح، وإذا سمعته مني، وعرفت أنني أحس به سوف تسرع باتهامي ..

بدأت الأمور تنفجر قليلاً فقلت له :

— طيب يا سيدي ما دمت اعترفت لي ببعض الصفات الحسنة ، فلن يضيرك أن تعرض وجهة نظرك علي ، وأنت تعلم أنني أقبل كل وجهات النظر ، وأحترم أصحابها، على الرغم من اختلافي معها ومعهم ، وأنا من المؤمنين بالعبارة العربية التي تقول : إن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية. وما دامت الصداقة بيننا تقوم أساساً على المودة ، والروح الطيبة فإنني سوف أستوعب رأيك، أو سرك الذي يرهقك ، وعليك أن تعلم أنني أحاول أن أجعلك تتكلم لأنني أعتقد أن صمتك على هذا السر قد يؤثر في أعصابك وبالتالي ينعكس على صحتك العامة، وأنا بالفعل أراك مرهقاً .

بدأ صاحبي يطمئن قليلاً، وأطرق إطراقة طويلة ، ثم وجدته يهمس في أذني بانكسار شديد :

— أنا لا أحب أوبرا عايدة .

لم أسمع العبارة جيداً ، فطلبت منه تكرارها فقال :

— أنا لا أحب أوبرا عايدة !

كدت أنفجر من الضحك لكنني تماسكت حرصاً على مشاعره ، ومراعاة لحالته النفسية الصعبة ، ثم وجدته ينظر إلى بحذر شديد، ويقول :

— أ رأيت .. إنك أقرب الأصدقاء لى ، وسوف تتهمنى بالخيل !

طمأنته قائلاً :

— على العكس ، فمن حقك ألما تحب أوبرا عايدة ، ومن حق غيرك أن يحبها. فالمسألة تتعلق بالذوق، وهو دائماً يختلف من شخص لآخر.

أسرع يقول لى :

— لكننى لم أسمع عن أحد قبلى يقول إنه لا يحبها . إننى أنظر حولى فأرى المجتمع كله يجمع على الإعجاب بها ، بل إن الأجانب فى البلاد النائية يأتون خصيصاً لمشاهدتها عندنا. فكيف أجروا على التصريح بأننى لا أحبها؟ ألما يعتبر هذا موقفاً غير وطنى، وأنت تعرفنى جيداً أننى من أشد المواطنين ولاءً لهذه الأرض الطيبة ، والنهر الخالد الذى يرويها ويروينا .

— هون عليك يا صديقى. فالمسألة أبسط مما تتصور.

أسرع مقاطعاً :

— كيف هى أبسط، وأنا أراها تعرض فى التلفزيون، ثم يأتى المذيعون ويسألون من شاهدها ، وهم من كبار القوم ، فيقولون : إنها عمل ممتاز. والأجانب يقولون : نحن مبسوطون جداً منها..

قلت له :

— ألما يمكن أن يرجع سبب حبك لأوبرا عايدة أنك تجهل اللغة الإيطالية التى تغنى بها ؟

أجاب على الفور :

— ولماذا إذن تعرض علينا هنا ؟

— لدارتقاء بالذوق الفننى ، والإطلاع على الأعمال الفنية العالمية .

— أ رأيت ، لقد اعترفت بأنها من الأعمال العالمية، وما دمت أننى

لا أحبها ، فإننى أحس بالخجل ..

قلت له مطمئناً :

— يا سيدى لا تعط للمسألة كل هذه الأهمية، واحتفظ برأيك لنفسك .

— أنا أفعل ذلك ، لكن وحياة خاطرى عندك لا تخبر به أحداً ..

قلت له :

— سمعاً وطاعة .

لكننى لم أستطع !!

\* \*